العدد A 20 شباط 2026
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
NO.20A Feb.2026 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

أثر التطور الدلالي في فهم الحديث النبوي الشريف

م.م. صخر باسم شاكر الخالدي

جامة كركوك / مركز حوار الأديان والسلم المجتمعي للبحوث والدراسات

sakharbasim@uokirkuk.edu.iq

The Impact of Semantic Development on Understanding the Noble Prophetic Hadith

Researcher and Lecturer

M.M. Sakhar Basim Shakir Al-Khalidi

University of Kirkuk / Center for Interfaith Dialogue and Social Peace for Research and Studies

sakharbasim@uokirkuk.edu.iq

ملخص البحث

يتناول هذا البحث أثر التطور الدلالي للألفاظ العربية في فهم الحديث النبوي الشريف، من خلال دراسة التغيرات التي تطرأ على معاني الكلمات عبر العصور، وما يترتب على ذلك من آثار في تفسير النصوص الشرعية واستنباط الأحكام منها. وقد سعى البحث إلى بيان أهمية الرجوع إلى الدلالة الأصلية للألفاظ زمن ورود الحديث، وعدم الاكتفاء بالمعاني المتأخرة أو المعاصرة التي قد تؤدي إلى سوء الفهم أو الخطأ في تفسير المقصود النبوي.

واعتمد البحث المنهج التاريخي المقارن، من خلال تتبع دلالات عدد من الألفاظ الواردة في السنة النبوية، ومقارنتها باستعمالاتها اللغوية عند العرب، ثم بيان ما طرأ عليها من تغير دلالي. وقد تناول البحث أبرز صور التطور الدلالي، ومنها: انتقال الدلالة أو هجر المعنى الأصلي، والتوسيع الدلالي، والتنوع الدلالي والأضداد، مع تطبيقات حديثية على ألفاظ مثل: السيارة، والهاتف، والمال، والماعون، والجون، والجلل.

وتوصل البحث إلى أن فهم الحديث النبوي فهماً صحيحاً يقتضي معرفة الاستعمال العربي للألفاظ زمن التشريع، والرجوع إلى كتب غريب الحديث والمعاجم اللغوية وشروح السنة؛ لأن كثيراً من الألفاظ قد تغيرت دلالاتها أو اتسعت أو تضيقت معانيها بمرور الزمن، مما يجعل دراسة التطور الدلالي من العلوم المساندة الضرورية لفهم السنة النبوية واستنباط أحكامها ومقاصدها على الوجه الصحيح.

الكلمات المفتاحية: الحَديث، الدلالة، تعريف، ورود، استخدام.

مقدمة

هدف البحث:

يَهدف البحث هذا إلى دراسَة وتَحليل التَّغيرات الدلالية -تغيرات المَعنى- التي تَطرأ على الألفاظِ، ويبين أثر هَذا التطور الدلالي على الفهمِ الصَّحيح لنصوصِ الحَديثِ النَّبوي الشَّريف.

إشكالية البحث:

ومحور الإشكاليَّة يَدور حَول كَيف يُمكن أن يُؤدي فهم مَعنى كلمَة فِي الحَديث النَّبوي بمدلولها الحَديث أو المُتأخر إلى تَحريفٍ أو تَغييرٍ أو خَطأ فِي استنباطِ الحُكم الشَّرعي ، أو المَعنى المَقصود مِنْ الرَسول صلى الله عليهِ وَسلم، ومَاهي المَنهجيَّة الصَّحيحة للتّعاملِ مَعَ هذهِ الظاهِرة.

منهج البحث:

اعتمد البحث هذا على المناهج التاريخية المقارنة ، من حيث تتبع دلالة اللفظ المستهدف، وتضمن البحث دراسة تحليلية لظاهرة التطور الدلالي في الحديث النبوي من جوانب مختلفة، وأسفرت هذه الدراسة عن النتائج التالية:

1- المطلب الأول: هجر دلالة الحديث (أو ما يعرف بانتقال الدلالة)، مثلاً: "الصلاة" كانت تعني الدعاء ، ثم خُصصت لتصبح الشعيرة المعروفة التي تبدأ بالتكبير وتنتهي بالتسليم.
2- المطلب الثاني: التوسيع في الدلالة وهو الانتقال من المعنى الخاص إلى المعنى العام للكلمة.
3- المطلب الثالث: التنوع في الدلالة وهو ان تستخدم الكلمة لأكثر من معنى وقد يكونا متضادين أحياناً.

التطور الدلالي للغة فهي تهتم بالتغير الذي يلحق معنى الكلمة نفسه «كأن يخصص معناها العام فلا تطلق إلا على بعض ما كانت تطلق عليه من قبل، أو يعمم مدلولها الخاص فتطلق على معنى يشمل معناها الأصلي، ومعاني أخرى تشترك معه في بعض الصفات، أو تخرج عن معناها القديم فتطلق على معنى آخر تربطه علاقة ما، وتصبح حقيقة في هذا المعنى الجديد بعد أن كانت مجازا فيه أو تستعمل في معنى غريب كل الغرابة عن معناها الأول»[1].

واعتمد هذا البحث على كتب الصحاح كـ "الصحيحين" والسنن كـ "الكتب الستة" ، والمعاجم اللغوية الأصلية ، وشروح الحديث النبوي المعتبرة ، التي اهتمت باللغة كـ "معجم مقاييس اللغة" و "النهاية في غريب الحديث" وغير ذلك، وكتب أصول الفقه.

الدراسات السابقة:

1- دراسة التطور الدلالي في العربية الفصحى، د. احمد محمد قدور.
2- التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، تأليف: عودة خليل أبو عودة.
3- التطور الدلالي الإشكال والأشكال والأمثال، تأليف: مهدي أسعد عرار.

مفهوم التطور:

إنّ التطور رغم شيوعه وكثرة استعماله فليس له وجود بارز في كتب التراث ، لكن في العصور المتأخرة جاء بعض أهل العلم وتكلم فيه حيث قال: (التطور: التَّغَيُّر التدريجي الَّذِي يحدث فِي بنية الكائنات الْحَيَّة وسلوكها وَيُطلق أَيْضا على التَّغَيُّر التدريجي الَّذِي يحدث فِي تركيب الْمُجْتَمع أَو العلاقات أَو النّظم أَو الْقيم السائدة فِيهِ)[2].

أما التطور الدلالي:

(قد أدركه اللغويون القدماء مثل الأصمعي، ولكننا لا نكاد نجد من أفرد لهذا الموضوع بحثا مستقلا، وقد استطاع السيوطي أن يجمع في رسالته عددا كبيرا من الكلمات وأن يحدد دلالاتها الأولى. ويتضح من سرده لهذه الكلمات وتقصي دلالاتها الأولى أنها لا تخرج عما ذكرنا من تخصيص معنى عام، أو تعميم مدلول خاص، أو خروج عن الدلالة السابقة إلى دلالة أخرى لعلاقة رابطة بين الدلالتين أو الخروج عن ذلك كله إلى معنى جديد في قليل من الأحيان)[3].

أنواع التطور الدلالي:

إنّ من أهم الظواهر للتطور الدلالي ترجع إلى ثلاثة أنواع:

كما ذكرها علي عبد الواحد وافي: (**أولاً:** تطور يلحق القواعد المتصلة بوظائف الكلمات، وتركيب الجمل, وتكوين العبارة.. وما إلى ذلك. **ثانياً:** تطور يلحق الأساليب، كما حدث في لغات المحادثة العامية المنشعبة عن العربية؛ إذ اختلفت أساليبها اختلافًا كبيرًا عن الأساليب العربية الأولى، وكما حدث للغة الكتابة في عصرنا الحاضر؛ إذ تميزت أساليبها عن أساليب الكتابة القديمة تحت تأثير الترجمة والاحتكاك بالآداب الأجنبية ورقيّ التفكير وزيادة الحاجة إلى الدقة في التعبير عن حقائق العلوم والفلسفة والاجتماع ... وهلم جرا. **ثالثا:** تطور يلحق معنى الكلمة نفسه، كأن يخصص معناها العام، فلا تطلق إلّا على بعض ما كانت تطلق عليه من قبل، أو يعمم مدلولها الخاص؛ فتطلق على معنًى يشمل معناها الأصلي

[1] ينظر: علم اللغة، للدتور علي عبد الواحد وافي (ص 287).
[2] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة (2/ 570).
[3] جلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، المكتب الاسلامى – بيروت، الأولى (ص: 206).

ومعاني أخرى تشترك معه في بعض الصفات، أو تخرج عن معناها القديمة فتطلق على معنًى آخر تربطه به علاقة ما، وتصبح حقيقة في هذا المعنى الجديد بعد أن كانت مجازًا فيه، أو تستعمل في معنى غريب كل الغرابة عن معناها الأول.. وهلم جرا)[4].

فالتطور الدلالي وأثره في فهم الحديث النبوي الشريف في هذا البحث يهتم بالتغيير الذي يلحق معنى الكلمة نفسها (كأن يخصص معناها العام فلا تطلق إلا على بعض ما كانت تطلق عليه من قبل، أو يعمم مدلولها الخاص فتطلق على معنى يشمل معناها الأصلي، ومعاني أخرى تشترك معه في بعض الصفات، أو تخرج عن معناها القديم فتطلق على معنى آخر تربطه علاقة ما، وتصبح حقيقة في هذا المعنى الجديد بعد أن كانت مجازا فيه أو تستعمل في معنى غريب كل الغرابة عن معناها الأول)[5].

المطلب الأول: هجر دلالة الحديث (أو ما يعرف بانتقال الدلالة)

وهي ظاهرة لغوية مثيرة، حيث ينتقل اللفظ ومعناه القديم وتموت العلاقة بينهما تماماً، ويستقر لفظ الكلمة على معنى جديد كلياً.

إليك واحد من أشهر الأمثلة في اللغة العربية:

أولا: السيارة:

1- تعريف الكلمة:

(السَّيَّارَةُ: الْقَافِلَةُ[6]، وَحَقِيقَتُهَا جَمَاعَةٌ سَيَّارَةٌ (وَبِهَا) كُنِّيَ أَبُو سَيَّارَةَ الَّذِي قَالَ لَهُ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - «أَدِّ الْعُشْرَ مِنْ الْعَسَلِ»[7]، وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز {وَجَاءَت سيارة فأرسلوا واردهم}[8]، (عربة آليَّة سريعة السَّيْر، تُستخدم في نقل النَّاس أو البضائع، تسير بالبنزين ونحوه)[9].

فكلمة "سيَّارة" من المعنى اللغوي الذي تدل عليه وهو "القافلة"، كي تدل على معنى اصطلاحي محدَّد هو هذه المركبة الجديدة، "الأوتوموبيل" وذلك، عن طريق النقل أو المجاز. وشاعت لفظة "سيارة" وأصبح الذهن عند سماعها، لا يتجه إلا لهذه المركبة الجديدة، بدلالتها الاصطلاحية.

2- ورود الكلمة في كتب السنة المطهرة:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ لِلَّهِ سَيَّارَةً مِنَ الْمَلائِكَةِ يَطْلُبُونَ حَلَقَ الذِّكْرِ فَإِذَا أَتَوْا عَلَيْهِمْ حَفُّوا بِهِمْ ثُمَّ بَعَثُوا رَائِدَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ إِلَى رَبِّ الْعِزَّةِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَيَقُولُونَ رَبَّنَا أَتَيْنَا عَلَى عِبَادٍ مِنْ عِبَادِكَ يُعَظِّمُونَ آلاءَكَ وَيَتْلُونَ كِتَابَكَ وَيُصَلُّونَ عَلَى نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويسئلونك لآخرتهم ودينهم فَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: غَشُّوهُمْ رَحْمَتِي فَيَقُولُونَ يَا رب إن فيهم فلانا الخطاء إنما أعتقناهم إعتاقا فَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: غَشُّوهُمْ رَحْمَتِي فَهُمُ الْجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ)[10].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَلاَئِكَةً سَيَّارَةً فُضُلاً ، يَبْتَغُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ ، وَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ ، قَعَدُوا مَعَهُمْ ، فَحَضَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ ، حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا ، أَوْ صَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ ، قَالَ : فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ ، مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ ، وَيُكَبِّرُونَكَ ، وَيَحْمَدُونَكَ ، وَيُهَلِّلُونَكَ ، وَيَسْأَلُونَكَ ، قَالَ : وَمَاذَا يَسْأَلُونِي ؟ قَالُوا : يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ ، قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي ؟ قَالُوا : لاَ ، أَيْ رَبِّ ، قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ قَدْ رَأَوْا جَنَّتِي ؟ قَالُوا : وَيَسْتَجِيرُونَكَ ، قَالَ : مِمَّ يَسْتَجِيرُونِي ؟ قَالُوا : مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ ، قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا نَارِي ؟ قَالُوا : لاَ ، قَالُوا : وَيَسْتَغْفِرُونَكَ ، قَالَ : فَيَقُولُ : قَدْ

[4] ينظر: علم اللغة، لعلي عبد الواحد وافي (ص: 313 - 314).
[5] ينظر: علم اللغة، لعلي عبد الواحد وافي (ص 287).
[6] ينظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادي (1/ 412).
[7] ينظر: المغرب في ترتيب المعرب، للمُطَرِّزِيّ (1/ 427).
[8] ينظر: المعجم الوسيط (1/ 467).
[9] ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار (2/ 1148).
[10] مسند البزار = البحر الزخار (13/ 116).

غَفَرْتُ لَهُمْ ، وَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا ، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا ، قَالَ : فَيَقُولُونَ : رَبِّ ، فِيهِمْ فُلاَنٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ ، قَالَ : فَيَقُولُ : قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، هُمُ الْقَوْمُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ)[11].

3- استخدام الكلمة عند العرب:

قال الأزرقي: (ثُمَّ إِنَّ جُرْهُمًا وَقَطُورَا خَرَجُوا سَيَّارَةً مِنَ الْيَمَنِ، وَأَجْدَبَتْ بِلَادُهُمْ عَلَيْهِمْ، فَسَارُوا بِذَرَارِيِّهِمْ وَنَعَمِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَقَالُوا: نَطْلُبُ مَكَانًا فِيهَا وَمَرْعًى تَسْمَنُ فِيهِ مَاشِيَتُنَا، وَإِنْ أَعْجَبَنَا أَقَمْنَا فِيهِ، فَإِنَّ كُلَّ بِلَادٍ يَنْزِلُهَا أَحَدٌ وَمَعَهُ ذُرِّيَّتُهُ وَمَالُهُ فَهِيَ وَطَنُهُ، وَإِلَّا رَجَعْنَا إِلَى بَلَدِنَا)[12].

4- الخلاصة:

فهذه الكلمة –السيارة- قد مرت بهذا التحول الجذري الذي جعل المعنى الأصلي يختفي تماما من الاستخدام اليومي وقد حل محله المعنى التقني الحديث:

فكان المعنى الأصلي يُقصد به "القافلة" أو "الجماعة من الناس أو الملائكة، تسير معاً في السفر". والدليل على ذلك قوله تعالى: (وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ)، والمقصود هنا بالقافلة: الناس المسافرين، وليس المركبة المتحركة.

أما المعنى الجديد للكلمة يُطلق حصراً على: "المركبات الآلية التي تعمل بمحرك" والتي يستخدمها الناس للتنقل.

ثانياً: الهاتف:

1- تعريف الكلمة:

(الْهَاتِف: كل مُتَكَلم خَفِي عَن الْأَبْصَار عين كَلَامه فَهُوَ هَاتِف)[13].

وفي الاصطلاح الحديث: (آلة تنقل الكلام والأصوات إلى بعيد، وهي التِّليفون)[14]، (آلة توصل صوت مخاطبك إليك مع بعد الشقة بينكما بواسطة سلك معدني ممتد بينكما. أو بلا سلك, وهو اللاسلكي)[15].

2- ورود الكلمة في كتب السنة المطهرة:

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: (دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسْجِدَهُ، فَذَكَرَ حَدِيثَ مُوَاخَاتِهِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ دَعَا عُثْمَانَ فَقَالَ: «ادْنُ يَا أَبَا عَمْرٍو، ادْنُ يَا أَبَا عَمْرٍو» ، فَلَمْ يَزَلْ يَدْنُو مِنْهُ حَتَّى أَلْصَقَ رُكْبَتَيْهِ بِرُكْبَتَيْهِ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ» ثَلَاثَ مِرَارٍ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى عُثْمَانَ وَكَانَتْ إِزَارُهُ مَحْلُولَةً، فَزَرَّهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: «اجْمَعْ عِطْفَيْ رِدَائِكَ عَلَى نَحْرِكَ» ، ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ لَكَ شَأْنًا فِي أَهْلِ السَّمَاءِ، أَنْتَ مِمَّنْ يَرِدُ عَلَى حَوْضِي، وَأَوْدَاجُهُ تَشْخَبُ دَمًا، فَأَقُولُ: مَنْ فَعَلَ بِكَ هَذَا؟ فَيَقُولُ: فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ، وَذَلِكَ كَلَامُ جِبْرِيلَ، إِذَا هَاتِفٌ يَهْتِفُ مِنَ السَّمَاءِ فَقَالَ: أَلَا إِنَّ عُثْمَانَ أَمِيرٌ عَلَى كُلِّ مَخْذُولٍ "، ثُمَّ تَنَحَّى عُثْمَانُ)[16].

وعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها قَالَتْ: (لَمْ يَقْتُلْ مِنْ نِسَائِهِمْ إِلاَّ امْرَأَةً وَاحِدَةً . قَالَتْ : وَاللَّهِ إِنَّهَا لَعِنْدِي تَحَدَّثُ مَعِي ، تَضْحَكُ ظَهْرًا وَبَطْنًا ، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْتُلُ رِجَالَهُمْ بِالسُّوقِ ، إِذْ هَتَفَ هَاتِفٌ بِاسْمِهَا : أَيْنَ فُلاَنَةُ ؟ قَالَتْ : أَنَا وَاللَّهِ ، قَالَتْ : قُلْتُ : وَيْلَكِ ، وَمَا لَكِ ؟ قَالَتْ : أُقْتَلُ . قَالَتْ : قُلْتُ : وَلِمَ ؟ قَالَتْ : حَدَثٌ أَحْدَثْتُهُ . قَالَتْ : فَانْطُلِقَ بِهَا ، فَضُرِبَتْ عُنُقُهَا وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ : وَاللَّهِ مَا أَنْسَى عَجَبِي مِنْ طِيبِ نَفْسِهَا ، وَكَثْرَةِ ضَحِكِهَا وَقَدْ عَرَفَتْ أَنَّهَا تُقْتَلُ)[17].

---

[11] مسند أحمد (14/ 527)، وقال الذهبي: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ. ينظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم (1/ 672).
[12] ينظر: أخبار مكة، للأزرقي (1/ 85).
[13] ينظر: الكليات، لأبي البقاء الحنفي (ص: 951).
[14] ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار (3/ 2322).
[15] ينظر: معجم متن اللغة، لأحمد رضا (5/ 596).
[16] ينظر: فضائل الصحابة، لأحمد بن حنبل (1/ 525).
[17] مسند أحمد (6/ 277).

وعَنْ أُمِّ سُلَيْمٍ، قَالَتْ: (لَمَّا نَزَّلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَاتِفًا يَهْتِفُ: «أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ، فَلَا تَبِيعُوهَا، وَلَا تَبْتَاعُوهَا وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ فَلْيُهْرِقْهُ» قَالَ أَبُو طَلْحَةَ: «يَا غُلَامُ، احْلُلْ عَنِ الْمَزَادَةِ، فَأَهْرِقْهَا، فَأَهْرَاقَ النَّاسُ، وَمَالَهُمْ خَمْرٌ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الْبُسْرُ وَالتَّمْرُ)[18].

3- استخدام الكلمة عند العرب:

قال عَلِيَّ بْنَ الْمَدِينِيِّ: (مَرَّ بِي حَدِيثٌ , فَاحْتَاجَ بَعْضَ الْحُرُوفِ إِلَى حَرْفٍ , فَجَعَلْتُ أَتَفَكَّرُ: أَزِيدُ فِي الْحَرْفَ أَمْ لَا؟ فَسَمِعْتُ هَاتِفًا يَقُولُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: 119] فَتَرَكْتُ الْحَرْفَ)[19].

وعن خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ الْعَدَوِيُّ قَالَ: (سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي رَوَّادٍ يَقُولُ: انْتَهَيْتُ إِلَى رَجُلٍ سَاجِدٍ خَلْفَ الْمَقَامِ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ مَطِيرَةٍ يَدْعُو وَيَبْكِي فَطُفْتُ أُسْبُوعًا، ثُمَّ عُدْتُ فَوَجَدْتُهُ عَلَى حَالِهِ فَقَعَدْتُ قَرِيبًا مِنْهُ اللَّيْلَ كُلَّهُ فَلَمَّا كَانَ جَوْفُ اللَّيْلِ سَمِعْتُ هَاتِفًا يَقُولُ: يَا وُهَيْبُ بْنَ الْوَرْدِ ارْفَعْ فَقَدْ غُفِرَ لَكَ، قَالَ: فَلَمْ أَرَ شَيْئًا فَلَمَّا بَرَقَ الصُّبْحُ رَفَعَ رَأْسَهُ وَمَضَى فَاتَّبَعْتُهُ فَقُلْتُ: أَوْ مَا سَمِعْتُ الصَّوْتَ فَقَالَ: وَأَيُّ صَوْتٍ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: لَا تُخْبِرْ أَحَدًا فَمَا حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا حَتَّى مَاتَ وُهَيْبٌ)[20].

4- الخلاصة:

انتقال الكلمة من معناها الأصلي إلى ضدها، سواء في اللغة العربية الفصحى (ما يُعرف بالأضداد) أو في التطور الدلالي الذي طرأ على الكلمات بمرور الزمن.

إليك أبرز هذه الأمثلة مصنفة حسب طبيعة الانتقال:

هذه كلمات تحمل المعنيين المتضادين في أصل اللغة:

الجون: تُطلق في الأصل على الأسود الشديد السواد، ولكنها تُستخدم أيضاً لوصف الأبيض الشديد البياض.

الجلل: تُطلق على الأمر العظيم الهائل، وتُطلق أيضاً على الأمر الحقير الهين.

المطلب الثاني: التوسيع في الدلالة وهو الانتقال من المعنى الخاص إلى المعنى العام للكلمة.

أولاً: المال

1- تعريف الكلمة:

المالُ: (ما مَلَكْتَه من كلِّ شيءٍ)[21].

وقال ابن الأثير: (مَا يُمْلَكُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى كُلِّ مَا يُقْتَنَى وَيُمْلَكُ مِنَ الْأَعْيَانِ. وَأَكْثَرُ مَا يُطْلَقُ المَالُ عِنْدَ الْعَرَبِ عَلَى الْإِبِلِ، لِأَنَّهَا كَانَتْ أَكْثَرَ أَمْوَالِهِمْ. ومَالَ الرَّجلُ وتَمَوَّلَ، إِذَا صَارَ ذَا مَالٍ. وَقَدْ مَوَّلَهُ غَيْرُهُ. وَيُقَالُ: رَجُلٌ مَالٌ: أَيْ كَثِيرُ الْمَالِ، كَأَنَّهُ قَدْ جَعَلَ نَفْسَهُ مَالًا، وَحَقِيقَتُهُ: ذُو مَالٍ)[22].

وفي الاصطلاح: (هو ما كان له قيمة مادية بين الناس، وجاز شرعا الانتفاع به، في حال السعة والاختيار)[23].

وحُكي عن ثعلب: (المالُ: كل ما تَجب فيهِ الزكاة قلَّ أو كثُر فما نقصَ عن ذلك فليسَ بمالٍ، وبهِ جزم)[24].

2- ورود الكلمة في كتب السنة المطهرة:

(عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء، قَالَ : سُئِلَ رَسُول الله صلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسلَّمَ عَن إِعْطَاء السُّلْطَان، قَال: مَا آتَاك اللَّه مِنْه مِن غَيْر مَسْأَلَة وَلاَ إِشْرَافٍ، فَخُذه وتَمَوَّلْهُ)[25]، أَيِ: (اجعَلهُ لَك مالًا)[26].

---

[18] المعجم الأوسط، للطبراني (4/ 280).
[19] الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي (ص: 250).
[20] كرامات الأولياء، للالكائي (9/ 199).
[21] القاموس المحيط، للفيروزآبادى (ص: 1059)، تاج العروس، للزبيدي (30/ 427).
[22] النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الاثير (4/ 373).
[23] الملكية في الشريعة الإسلامية، للدكتور عبد السلام العبادي: (1/ 179).
[24] فتح الباري شرح صحيح البخاري (584/ 71).

«خَيْرُ الْمَالِ مُهْرَة مَأمُورَةٌ، وسِكَّةٌ مَأْبُورَة»[27]

السكة: الطريقة المصطفة من النخل، والمأبورة الملقحة، يقال: أبرت النخلة وأبرتها فهي مأبورة ومؤبرة، والاسم الإبار. وقيل السكة: سكة الحرث، والمأبورة المصلحة له، أراد: خير المال نتاج أو زرع[28].

وَقَد تَكَرَّر ذِكرُ «المَال» علَى اخْتِلافِ مُسَمَّياتِه في الْحَديثِ، وَيُفرَقُ فِيها بالقَرَائن.

وفِي الحديثِ: (النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ إِضَاعَةِ المَالِ وَقَالَ لِلَّذِي يُخْدَعُ فِي البَيْعِ: «إِذَا بَايَعْتَ فَقُلْ لاَ خِلاَبَةَ» وَلَمْ يَأْخُذِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَالَهُ)[29]. قيلَ: أَرادَ بِهِ الحيوانَ[30].

وعنْ أُمّ سَلَمةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُول اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَآلِهِ وَسلَّمَ: (مَا نَقصَ مالٌ مِن صَدقَةٍ)[31].

(فإن أهل المعرفةِ فهموا مِنه أنّ المالَ الذي يخرجُ منهُ الحَق الشّرعي لا يَلحقه آفةٌ ولا عاهةٌ بلْ يحصل لهُ النماء ومِن ثم سُميت الزكاة لأنّ المالَ ينمو بها ويَحصل فيهِ البَركة)[32].

3- استخدام الكلمة عند العرب:

حَديثِ حلِيمة السَّعديَّة «أَنَّها خَرَجت في سَنَة حمراء قَد بَرَت المَالَ»

قال ابن الأثير: أي، (هزلت الإبل وأخذت من لحمها، من البري: القطع. والمال في كلامهم أكثر ما يطلقونه على الإبل)[33].

4- الخلاصة:

إذن كان العرب كثيراً ما يستخدمون هذه الكلمة "المال" تعبيراً عن المواشي وخاصة الإبل منها ثم توسعت الدلالة في السنة النبوية لتشمل كل ما يُنتفع به، ثم تطورت لتتخصص في مال النقود حصراً ليكون المال (العملة النقدية) فتعد هذه الكلمة من أبرز الكلمات التي مرت بمراحل دلالية متعددة.

ثانياً: الماعون

1- تعريف الكلمة:

قال الأَزهري والمَعُونة مَفْعُلة في قياس من جعله من العَوْن وقال ناسٌ هي فَعُولة من الماعُون والماعون فاعول وقال غيره من النحويين المَعُونة مَفْعُلة من العَوْن مثل المَغُوثة من الغَوْث

لسان العرب ط دار المعارف (4/ 3179)

2- ورود الكلمة في كتب السنة المطهرة:

عَنْ عَلِيٍّ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، أَنه قَالَ: الْمَاعُونُ الزَّكَاةُ.

كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ يُحَدِّثُ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْخَمِيسِ انْتَابَهُ أَهْلُ الرَّسَاتِيقِ وَالْقُرَى، فَجَاءَ رَجُلٌ أَعْمَى فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، " مَا الْأَوَّاهُ؟ قَالَ: الرَّحِيمُ، قَالَ: فَمَا التَّبْذِيرُ؟ قَالَ: «مَا أُنْفِقَ فِي غَيْرِ حَقٍّ» ، قَالَ: فَمَا الْمَاعُونُ؟ قَالَ: «مَا يَتَعَاوَنُ النَّاسُ بَيْنَهُمْ، يَعْنِي الْعَوَارِي»[34].

---

[25] مسند أحمد (5/ 195).
[26] النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الاثير (4/ 373).
[27] القضاء والقدر، للبيهقي (ص: 247).
[28] النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الاثير (1/ 13).
[29] صحيح البخاري/ كِتَاب الخُصومَات/ بابُ مَن ردَّ أَمرَ السَّفِيهِ وَالضعِيفِ العقْل، وَإِن لَم يَكُنْ حجَرَ عَلَيْه الإمامُ (3/ 121)
[30] فتح الباري شرح صحيح البخاري (584/ 71).
[31] المعجم الصغير للطبراني (1/ 102).
[32] فتح الباري، لابن حجر (13/ 18).
[33] النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الاثير (1/ 123).

قُرَّةُ بْنُ دَعْمُوصٍ النُّمَيْرِيُّ، " أَنَّهُمْ وَفَدُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ أَمَرَهُمْ أَنْ يَصُومُوا رَمَضَانَ؛ فَإِنَّ فِيهِ لَيْلَةً خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فِي أَيِّ لَيْلَةٍ نَبْتَغِيهَا؟ قَالَ: «فِي اللَّيَالِي الْبِيضِ» قَالَ: «وَلَا تَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ» ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْمَاعُونُ؟ قَالَ: «فِي الْحَجَرِ وَالْحَدِيدِ وَفِي الْمَاءِ» ، قَالُوا: وَأَيُّ الْحَدِيدِ؟ قَالَ: «قِدْرُ النَّحَّاسِ، وَحَدِيدُ النَّاسِ الَّذِي يَمْتَهِنُونَهُ» قَالَ: فَمَا الْحَجَرُ؟ قَالَ: «قِدْرُكُمُ الْحِجَارَةُ»[35]

وقال عبد الله بن مسعود : (كل مَعروف صَدقة ، وَكنا نعد المَاعون على عهدِ رسولُ الله [ﷺ] القِدر والدَلو)[36].

3- استخدام الكلمة عند العرب:

قَالَ الْفَرَّاءُ: سَمِعْتُ بَعْضَ الْعَرَبِ يَقُولُ: الْمَاعُونُ هُوَ الْمَاءُ بِعَيْنِهِ[37]؛ قَالَ: وأَنشدني فِيهِ: يَمُجُّ صَبِيرُهُ الماعونَ صَبّاً[38].

قَالَ الزَّجَّاجُ مَنْ جَعَلَ الماعُونَ الزَّكَاةَ فَهُوَ فاعولٌ مِنَ المَعْنِ، وَهُوَ الشَّيْءُ الْقَلِيلُ فَسُمِّيَتِ الزَّكَاةُ ماعُوناً بِالشَّيْءِ الْقَلِيلِ لأَنه يُؤْخَذُ مِنَ الْمَالِ رُبْعُ عُشْرِهِ، وَهُوَ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ. والمَعْنُ وَالْمَاعُونُ: الْمَعْرُوفُ كُلُّهُ لِتَيَسُّرِهِ وَسُهُولَتِهِ لدَيْنا بِافْتِرَاضِ اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاهُ عَلَيْنَا. قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: والماعونُ الطَّاعَةُ وَالزَّكَاةُ، وَعَلَيْهِ الْعَمَلُ، وَهُوَ مِنَ السُّهُولَةِ وَالْقِلَّةِ لأَنها جُزْءٌ مِنْ كُلٍّ[39].

وسُئِلَ عَامِر عَن الْمَاعُون فَقَالَ: (إِذَا كَانَ لكَ مَال فَلَا تُغَيِّب مِنه شَيئًا، فإِنَّ مَانعَ الصَّدَقةِ وَالْمُعتَدي سَواء)[40].

قال عُبيد بن حَصين الراعي:

(قومٌ على الإسلام لما يمنعوا ... ماعُونَهُمْ ويُضَيِّعوا تهليلا)[41].

وقد تستعمل الكلمة في الطاعة والانقياد، كما قيل: (رضّ بَعيرك حتى يُعطيك الماعون، أي ينقادَ لك، ويُعطيك الطاعة)[42].

4- الخلاصة:

لفظة الماعُون مِنَ الألفَاظ التي دَارتْ معانِيها فِي اللغةِ والحَديث حولَ النفعِ والمَعونَة ومَا يتعاونُ بهِ الناس بينَهم. وقدْ فسَّره السّلف بعدة تفسيراتٍ مُتقاربة، منها: الزّكاة كما وردَ عن عليٍّ رضي اللهُ عنه، والعواري والأدوات المستعارة كالقِدر والدَلو وَالفأس، والمَنافع العامّة كالماءِ والحَجر والحَديد التي يَحتاج إليها النّاس في مَعاشهم، كما استُعمِل عندَ العربِ بمعنى المَعروف والإحسان والطاعَة والانقيَاد، بَل أطلقهُ بَعضهم على المَاء خاصّة.

فنلاحظ أنّ دَلالة كلمَة الماعُون انتقلتْ مِن المعنى العام هو: المَعونة والنّفع اليسير المُتداول بينَ النّاس إلى مَعانٍ أكثر تَخصيصًا فِي الاستعمالِ الشّرعي؛ فاستُعملتْ للدَلالةِ على الزكاةِ باعتِبارها جُزءًا يَسيرًا مِن المال يُعْطى للمحتاجين، كَما استُعمِلتْ أيضاً للدَلالة على الأدواتِ المَنزلية والمَرافِق المشتركة التي يتعَاون النّاس بها، ثم اتسعَ مَعناها عندَ اللغويينَ والمفسرين ليشملَ المعروفَ والإحسان والطاعَة، فأصبحتِ هذه الكلمة تدورُ بين مَعنى مَادي، وهو: "الأدَوات والمَنافِع" ومَعنى مَعنوي، وهو: "الإحسانُ والمَعروفُ"، مَعَ بقاءِ الأصل وهو: الدلالة على الإعانَة والتّيسير للغَير.

المطلب الثالث: التنوع في الدلالة وهو ان تستخدم الكلمة لأكثر من معنى وقد يكونا متضادين أحياناً.

أولاً: الجون:

1- تعريف الكلمة:

---

[34] المعجم الكبير، للطبراني (9/ 206) المستدرك على الصحيحين، للحاكم (2/ 393)، واللفظ للطبراني.
[35] تاريخ المدينة، لابن شبة (2/ 597).
[36] السنن الصغرى، للبيهقي (5/ 365)، وسنن أبي داود (2/ 124).
[37] ينظر: التفسير البسيط، للواحدي (24/ 364).
[38] ينظر: تهذيب اللغة، للهروي (3/ 13).
[39] ينظر: لسان العرب، لابن منظور (13/ 410).
[40] ينظر: الأموال، لابن زنجويه (3/ 877).
[41] ينظر: فتح القدير، للشوكاني (5/ 612).
[42] ينظر: المخصص، لابن سيده (9/ 148)، ولسان العرب، لابن منظور (13/ 409).

(وَالْجَوْنُ عِندَ أَهْلِ اللّغَةِ قَاطِبَة اسْم يَقعُ عَلى الْأَسوَدِ وَالْأَبْيضِ، وَهُوَ بَاب مِن تَسمِيَةِ الْمُتَضَادّيْنِ بِالِاسْمِ الْوَاحدِ، كَالنَّاهِلِ، وَالظَّنِّ، وَسَائِر مَا في الْبَابِ)[43].

(وقالوا: الجَونُ النّهارُ. والجَونُ، في لُغَة قُضَاعَة: الأَسودُ، وفِي ما يليها الأَبيضُ)[44]

2- ورود الكلمة في كتب السنة المطهرة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، يَظْهَرُ النِّفَاقُ، وَتُرْفَعُ الْأَمَانَةُ، وَتُقْبَضُ الرَّحْمَةُ، وَيُتَّهَمُ الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ غَيْرُ الْأَمِينِ، أَنَاخَ بِكُمُ الشُّرْف الجُونُ"، قَالُوا: وَمَا الشُّرْفُ الْجُونُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "فِتَنٌ كقطع الليل المظلم)[45].

قال الشيخ علي العزيزي: (شبه الفتن في اتصالها وامتدد وقاتها بالنوق المسنمة السود والجون من الألوان يقع على الأسود والأبيض والمراد هنا الأسود الشبيه بالليل المظلم)[46].

3- استخدام الكلمة عند العرب:

(عَرَض أَنيس الجَرْميّ على الحجَّاج دِرْع حَديد صافية في الشَّمس، فلم يتبيَّن الحجَّاج صَفَاءها، فقال: ما هي بصافية، فقال أَنيس - وكانَ فصيحاً - إِنَّ الشَّمْسَ جَوْنة؛ أَرادَ قد غلب صفاءها صَفاءَ الدرع، قال أَبو ذُؤَيْبٍ: الدَّهرُ لا يَبْقَى على حَدَثَانِهِ ... جَوْنُ السَّراةِ لَهُ جَدائدُ أَرْبَعُ

جَوْن السَّراة: حمار أَسود الظَّهر، والجدائد: جمع جَدُود، وهي الأَتان الَّتي لا لَبَن

لها، ويقال: فَلاة جَدَّاء إِذا لم يكن بها ماءٌ. وقالت الخنساءُ:

فَلَنْ أُصالِحَ قَوْماً كنت حَرْبَهُمُ ... حتَّى يَعُودَ بياضاً جَوْنَةُ القَارِ)[47].

4- الخلاصة:

مما سبق تبين لنا أن كلمة الجون هي من ألفاظ الأضداد التي لها أثر مهم في فهم الحديث النبوي الشريف لأن الخطأ فب تحديد المراد يؤدي إلى سؤ فهم المراد النبوي أو سؤ استنباط الحكم من الحديث النبوي الشريف..

لابد من الرجوع إلى سياق الحديث لحمل لفظ الجون على السواد أو البياض، فلا يُحمل مباشرةً دون النظر إلى سياقه، فإذا ورد الحديث في وصف ثوب أو دابة أو لون، فإن القرائن هي التي تحدد المراد.

فمثلاً الشراح يختلفون فيما بينهم بسبب الاشتراك اللفظي والأضداد وهذا له أثر عظيم في فهم أو شرح الحديث النبوي في تفسير اللفظة، فالبعض يحملها على السواد، والآخر على البياض، تبعًا لما يترجح لديه من قرائن لغوية.

وهنا تبرز أهمية علم غريب الحديث لأن فهم الحديث النبوي لا يقتصر على ظاهر الألفظ المعاصرة، بل يحتاج في ذلك إلى معرفة استعمال العرب قديماً لهذه اللفظة وغيرها.

لأنّ العرب مثلاً كانت تستعمل لفظ لمعنيين متضادين، فهنا يوجب الحذر عند شرح وتفسير النصوص النبوية.

ثانياً: الجلل:

1- تعرف الكلمة:

يقال: (شَيْءٌ جَلَلٌ، أي: عَظيم. وشيءٌ جَلَل. أي: هَيِّنٌ، وهذا الحرفُ من الأضداد. قال امْرؤُ القَيْس لما قُتِل أبوه: ألا كلُّ شَيْءٍ سِواهُ جَلَل. أي: هَيِّن يَسير)[48].

---

[43] ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (1/ 496).
[44] ينظر: الأزمنة وتلبية الجاهلية، لقطرب (ص: 14).
[45] صحيح ابن حبان (15/ 99).
[46] السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير، للعزيزي (4/ 146) ، وفيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي (5/ 403).
[47] ينظر: الأضداد، لابن الأنباري (ص: 111 – 112).

قَالَ الرَّاغِب: (الجَلَلُ: المُتَناوَلُ مِن البَعَر، وعُبِّر بِهِ عَن الشَّيْء الحَقِير، وعَلى ذَلِك قولُه: فكُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَه جَلَلٌ)[49].

(فيه: ذو "الجلال" أي العظمة. ك: أي صفات التنزيه نحو لا جوهر ولا عرض، ولا شريك له، ولا جهة له، والإكرام صفات وجودية مثل العلم والقدرة. ن: أين المتحابون "بجلالي" أي بعظمتي وطاعتي لا لدنيا)[50].

والجَلَلُ: (الأمر العظيم، والأمرُ الصغير. وهو حرفٌ من الأضداد)[51].

2- ورود الكلمة في كتب السنة المطهرة:

عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: (كَانَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي ذُبْيَانَ فَقَدْ أُصِيبَ زَوْجُهَا وَأَخُوهَا يَوْمَ أُحُدٍ، فَلَمَّا نُعُوا لَهَا، قَالَتْ: مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالُوا: خَيْرًا يَا أُمَّ فُلَانٍ، فَقَالَتْ: أَرُونِيهِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَأَشَارُوا لَهَا إِلَيْهِ حَتَّى إِذَا رَأَتْهُ قَالَتْ: كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ)[52].

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: (شَهِدْتُ صَالِحًا الْمُرِّيَّ عَزَّى رَجُلًا عَلَى أَبِيهِ فَقَالَ لَهُ: «لَئِنْ كَانَتْ مُصِيبَتُكَ لَمْ تُحْدِثْ لَكَ مَوْعِظَةً فِي نَفْسِكَ فَمُصِيبَتُكَ بِأَبِيكَ جَلَلٌ فِي مُصِيبَتِكَ فِي نَفْسِكَ فَإِيَّاهَا فَابْكِ)[53].

3- استخدام الكلمة عند العرب:

عَنْ شُرَيْحِ بْنِ عُبَيْدٍ؛ قَالَ: (كَانَتْ تَعْزِيَةُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ: كُلُّ مُصِيبَةٍ مَا عَدَا النَّفْسَ جَلَلٌ. فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَتَفَقَّهُوا؛ قَالُوا: كُلُّ مُصِيبَةٍ مَا عَدَا النَّارَ جَلَلٌ)[54].

قال نابغة بني شيبان: 1/ 484

كل المصيبات إن جلت وإن عظُمت ... إلا المصيبة في دين الفتى جللُ

أراد سهلة. وقال عمران بن حطان:

يا خول كيف يذوق الخفض معترف ... بالموت والموتُ فيما بعده جللُ

4- الخلاصة:

الخلاصة مما سبق أن استعمالات هذه الكلمة قديماً وحديثاً كانت تستخدم للأمر اليسر إذا ما قُورن بالشيء العظيم، ولكن الأشهر كانت تستخدم للعظيم والخطر.

وأما تأثيرها على الحديث النبوي فهي تحدد المعنى المراد من حديث رسول الله ﷺ أو من روى الحديث من حيث وصف أحداث ومواقف، ويترتب على ذلك فهم الأحكام والمعاني.

"ومِن المَعلوم أنَّ الألفاظَ تُسايرُ حَياة الأُمم مُلبيةً حَاجاتها المُتجددة فيمَا تقتضيهِ الحَياة مِنْ استعمالٍ لها، وَشبّه عُلماء اللُّغة الألفاظ والمُفردات بالكائِن الحي مِنْ حَيث الولادة والنشوء والهَرم والمَوت، فالألفاظ يَعتريها التَّطور والتَّغيير مِن وقتٍ إلى آخر، وَهذا ما نَجدهُ في كثيرٍ مِنْ الألفاظِ الشَّرعية، إذا نقلَت دلالتها اللغويَّة إلى مُصطلحات شرعيَّة لا يعرفها العَرب"[55].

---

[48] معجم ديوان الأدب، للفارابي (3/ 42).
[49] تاج العروس (28/ 219).
[50] مجمع بحار الأنوار، للكجراتي (1/ 376).
[51] الإبانة في اللغة العربية، للعوتبي (2/ 366).
[52] دلائل النبوة، للبيهقي (3/ 302).
[53] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم (6/ 171).
[54] ينظر: المجالسة وجواهر العلم، للدينوري (6/ 95).
[55] ينظر: المنهج الفقهي، للإمام اللكنوي (ص: 24-38) بتصرف يسير.

الخاتمة

الحمدُ للهِ والصَّلاة والسَّلامِ على رسولِ اللهِ وَعلى آلهِ وصَحبهِ ومَن والاه.. وبعد؛ فقدْ سعَى هذا البَحث إلى إبْرازِ أثَر التَّطور الدلالي فِي فِهم الحَديث النَّبوي الشَّريف، مِن خِلال دِراسة عددٍ مِنَ الألفاظِ التي شَهدت تغيُراً فِي دلالاتِها عبْر العُصور، وَبيان انعكاسِ ذلك على تَفسير النَّصوص أَبوية وَفهم مَقاصدها. وَقد تبينَ أنَّ اللُغة العَربية لغة حيَّة تَتطور ألفاظها ومَعانيها تبَعاً لتطوُر الحَياة الإنسَانية، إلا أنَّ فَهم النصوصِ الشَّرعية يَظل مُرتبطاً بالدلالة التي كانَت مَعروفة عِند العَرب زمَن نُزول الوَحي وَصدور السُّنة النَّبوية.

وَقدْ أظهَرت الدّراسة أنَّ التَّطور الدلالي يَأخُذ صُوراً مُتعددة؛ مِنها انتقالِ الدلالة مِن مَعنى إلى آخر، والتَّوسيع والتَّضييق الدلالي، واستعمالِ الألفاظِ فِي مَعانٍ مُتضَادة، وأنَّ إغفال هَذهِ الظوَاهر قدْ يُؤدي إلى الخَطأ فِي فهم الحَديث أو استنباطِ الأحكَام الشَّرعية مِنه. كمَا أكدتِ الدِّراسة أهَمية كُتب غَريب الحَديثِ والمَعاجِمِ اللغويةِ وشُروح السُّنة فِي الكشفِ عَن المَعاني الأصليَّة للألفاظِ النَّبويَّة.

ومِن أبرَزِ النتائجِ التي تَوصلَ إليها البَحث:

1. أنَّ التطور الدلالي يُمثل عَامِلاً مُؤثراً فِي فهْم النصوُص الحديثيَّة، ويَجب مُراعاته عِندَ التفسيرِ والشَّرح.
2. أنَّ كثيراً مِنَ الألفَاظِ النَّبوية قدْ انتقلتِ مِنَ دلالاتها الأصليَّة إلى دلالات أُخرى مَعَ مرورِ الزَّمَن.
3. أنَّ السّياق اللُغوي والشَّرعي يُعد مِنْ أهَم الوَسائلِ فِي تَحديدِ المَعنى المُراد عِندَ تَعددِ الدلالات.
4. أنَّ عِلم غَريب الحَديثِ والمَعاجِمِ العَربية القَديمة مِنْ أهَم الأدواتِ العلميَّة لفِهمِ السُّنة النَّبويَّة فهمَاً صَحيحاً.
5. أنَّ الجَهل بالتَّطور الدلالي قَدْ يُؤدي إلى سُوء الفهم وَتَحريف المَقاصدِ الشَّرعية للنصوصْ.

وَيُوصي الباحث بزيادةِ العنَاية بالدراسَات الدلالية التَّطبيقيَّة فِي السُّنة النبويَّة، وإفرادِ مَعاجم مُتخصصة تَتَتَبع تَطور دلالات الألفَاظ الحديثيَّة، لِمَا لذلكَ مِنْ أثرٍ كبيرٍ فِي خِدمةِ الحَديثِ الشَّريف وَفهمه فهْماً دَقيقاً يُوافِق مُرادِ الشَّارع الحَكيم.

وآخرُ دَعوانَا أن الحَمدُ للهِ رَبِ العَالمين.

المصادر والمراجع

1- الإبانة في اللغة العربية، سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري، وزارة التراث القومي والثقافة - مسقط - سلطنة عمان، الأولى، 1420 هـ - 1999 م.
2- أخبار مكة للأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي (المتوفى: 250هـ)، دار الأندلس للنشر – بيروت، المحقق: رشدي الصالح ملحس.
3- الأزمنة وتلبية الجاهلية، محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، الشهير بقُطْرُب (المتوفى: 206هـ)، مؤسسة الرسالة، الثانية، 1405 هـ - 1985 م.
4- الأضداد، أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فَروة بن قَطَن بن دعامة الأنباري (المتوفى: 328هـ)، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، 1407 هـ - 1987 م.
5- الأموال لابن زنجويه، أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني المعروف بابن زنجويه (المتوفى: 251هـ)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، الأولى، 1406 هـ - 1986 م.
6- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، دار الهداية.
7- تاريخ المدينة، عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (المتوفى: 262هـ)، السيد حبيب محمود أحمد - جدة ، 1399 هـ.
8- التَّفْسِيرُ البَسِيْط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.، الأولى، 1430 هـ .

9- تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ) ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الأولى، 2001م .
10- جلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، المكتب الاسلامى – بيروت، الأولى.
11- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ) ، السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م ، دار الكتاب العربي - بيروت .
12- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الأولى - 1405 هـ .
13- السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير، الشيخ علي بن الشيخ أحمد بن الشيخ نور الدين بن محمد بن الشيخ إبراهيم الشهير بالعزيزي، الشاملة.
14- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، الناشر دار الفكر.
15- السنن الصغرى للبيهقي، المنة الكبرى شرح وتخريج السنن الصغرى المنة الكبرى شرح وتخريج السنن الصغرى، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد السعودية/ الرياض، هـ - 2001م.
16- صحيح ابن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى، 1408 هـ - 1988 م.
17- صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار طوق النجاة، الأولى، 1422هـ.
18- علم اللغة، لعلي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر، الأولى.
19- فتح الباري لابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، دار ابن الجوزي - السعودية / الدمام - 1422هـ، الثانية ، تحقيق : أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد.
20- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار المعرفة - بيروت، 1379.
21- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الأولى - 1414 ه.
22- فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، مؤسسة الرسالة – بيروت، الأولى، 1403 – 1983، المحقق: د. وصي الله محمد عباس.
23- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (المتوفى : 1031هـ)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الاولى 1415 ه - 1994 م.
24- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الثامنة، 1426 هـ - 2005 م.
25- القضاء والقدر للبيهقي (ص: 247).
26- كرامات الأولياء، للالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: 418هـ)، دار طيبة – السعودية، الثامنة، 1423هـ / 2003م، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي.
27- الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)، المكتبة العلمية - المدينة المنورة، المحقق: أبو عبدالله السورقي , إبراهيم حمدي المدني.
28- الكليات، لأبي البقاء الحنفي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، مؤسسة الرسالة - بيروت - 1419هـ - 1998م.، تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري.

29- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، دار صادر - بيروت ، الثالثة - 1414 هـ.
30- المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفى : 333هـ)، دار ابن حزم (بيروت - لبنان)، 1419هـ .
31- مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (المتوفى: 986هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الثالثة، 1387 هـ - 1967م.
32- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: 458هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الأولى، 1417هـ 1996م.
33- المستدرك على الصحيحين للحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، 1411 – 1990، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
34- مسند أحمد - عالم الكتب، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، عالم الكتب – بيروت، الأولى ، 1419هـ - 1998 م، المحقق : السيد أبو المعاطي النوري.
35- مسند أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، مؤسسة الرسالة، الأولى، 1421 هـ - 2001 م، شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون.
36- مسند البزار = البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: 292هـ)، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م).
37- المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، الناشر دار الحرمين – القاهرة، سنة النشر 1415.
38- المعجم الصغير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، المكتب الإسلامي، دار عمار – بيروت، عمان، الأولى، 1405 – 1985.
39- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، مكتبة ابن تيمية - القاهرة ، الثانية، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.
40- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ)، عالم الكتب، 1429 هـ - 2008 م.
41- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.
42- معجم ديوان الأدب ، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى: 350هـ) ، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة ، 1424 هـ - 2003 م .
43- معجم متن اللغة، أحمد رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت، 1380 هـ - 1960 م.
44- معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) ، دار الفكر ، 1399هـ - 1979م. عبد السلام محمد هارون.
45- المغرب في ترتيب المعرب، أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيدبن علي بن المطرز، مكتبة أسامة بن زيد – حلب، الطبعة الأولى، 1979، ت: محمود فاخوري و عبدالحميد مختار.
46- الملكية في الشريعة الإسلامية، للدكتور عبد السلام العبادي، مؤسسة الرسالة.
47- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م.